

دفاع امرأة عن النساء

من الرجال

(٢)

وقد يقال أن الرجل اقدر من المرأة على سرد الحقائق والوقائع وان المرأة اقدر منه على قصر القصص وسرد التفاصيل فلذلك فافتة في كتابة التراجم اذ التفاصيل لا الحقائق هي المهمة في الترجمة. ولو ان الصحف تستخدم النساء مراسلات لها في الحرب لرأت من حسن بيانهم في وصف المعارك وسلامة ديباجتهم ما لا يرى في وصف المراسلين عادة ولكن يرجح انهم يتركون هنا وهناك بعض الامور المهمة التي لا غنى عنها في ادراك الوقائع

وهناك امر آخر لا بد من الانتباه له قبل ابداء الرأي فيما كتبت الكتاب والكتابات حتى الآن وهو ان عدداً كثيراً من الكتب التي كتبها النساء لم ينشر. والسبب في ذلك ان الرجال بقوا حتى الزمان الاخير ينظرون الى كتابة المرأة بعين المهانة والاحقار حتى اضطرت شهرات الكتابات ان ينتهجن اسماء الرجال مثل جورج سند وجورج اليوت. على ان كتابات الروايات تغلب على هذا الفرض الاصح من حيث كتابة الروايات فقط فاذا طرقت كاتبة غير هذا الباب كأن حاولت الايضال في دائرة الادب والانشاء العالي مثلاً فلا بد ان تلتقي مصائب لا تذلل بسهولة والمرأة تخالف الرجل في ان فضائلها الاولية لا تأخذ في التقصان متى بلغت طوراً معلوماً من الحضارة مثله. فالمرأة العالية الترية أكثر حناناً وحباً من المرأة غير المتعلمة التي كأنها كتلة جامدة من العرايز الاولية وهي كذلك اقرب الى العطف والنجدة من الرجل السامي الترية والتهذيب. واذا كانت زوجة استخدمت كل مواهبها المالية وذوقها الفني في سبيل علاقتها الزوجية واحبت زوجها حباً جماً لا تعرفه المرأة التي على فطرتها الاولى والتي اعماستها الرجل لانه قريب لها. كذلك يبدو تفوقها في مجال امومتها. فان اعظم كتاب التراجم امرأة اشتهرت في حالة امومتها اريد بها مدام دي سفيليه فان كونها امأهو الذي رفع كتابتها الى الطبقة التي تعرفها وصيرت صفحاتها خالدة لا تنسى

والامومة فنٌ بعيد عن مثال الذهن المادي الضميت الخيال الذي لا يرى في الطقولة جلالاً ولا يشترك في شيء من مطامح الشباب . وليست احسن الامهات بالضرورة المرأة التي تبالغ في العناية بطفلها بعد ولادته وتقضي الساعات الطوال وهي تهتم له لينام وتعلم بالضغط متى نبتت سنة الاولى اذ الغالب ان اماً هكذا وصفها تقدم اهتمامها به زوال هذه المظاهر فاذا بلغ الدور الذي تشتد حاجته فيه الى المساعدة والحنان لم يجدها . وكما ان القطة لا تعرف جروها ولا الفرس فلورها بعدما يشبان عن الطوق كذلك الامهات اللواتي تعتمن غالباً بالطيبات ينكشفن عن اولادهن متى امسبحوا وهم ليسوا في حاجة الى عنايتهن المادية . وامهات مثل هؤلاء هن اللواتي نسمع بناتهن يتعلمن منهن حتى لتقول البنت « آء من امي انها لا تفهم » . وكثيراً ما ترى ايضاً ان امثال هؤلاء « الامهات الطيبات » فاقدرات عاطفتي الحب والحنان نحو كل الاولاد غير اولادهن . والحق يقال ان محبة الاولاد ليست اقرب الى فطرة المرأة منها الى فطرة الرجل . فان عاطفة الابوة شديدة في كثير من الرجال . وقد لحظت على الدوام ان النساء اللواتي يعربن عن كره الاولاد هن من النساء القطريات الضعيفات العقول

وخلاصة ما تقدم ان التهذيب والتمدن الزم للمرأة منهما للرجل . والمرأة التي قنعت بالبقاء على الفطرة الاولى قصرت عن ادراك الشأو الارفع الذي قدر لها . ولقد صدق سدي سمث حيث قال سنة ١٨١٠ « قد ينجو الرجل غير المتعلم من الانحطاط العقلي اما المرأة غير المتعلمة فلا تستطيع النجاة منه . فاذا لم تتعلم في مدارس التربية والتعليم فلن تتعلم في مدرسة تجارب الدهر واجرا له »

المرأة القطرية

المرأة القطرية على ثلاثة اصناف :

الاول المرأة التي لا هم لها الا قضاء حاجات الرجل ونسله . فاذا استثنينا ذلك فلا شأن لها بالبتة . وقد كان العالم في حاجة الى نساء هذه صفتهم وسيبقى محتاجاً اليهن على الدوام ولكن ما دس قافعات بان يكون عملهن الطبخ والفصل والغطاية وحمل الاولاد واطعامهم من غير ان يكون لعقولهن واذواقهن شأن في تلك الواجبات والاعمال او من غير ان يسعين في ترقية عقولهن فلا مناص لهن من البقاء على قيد المبودية

والصنف الثاني وهو شرف الثلاثة المرأة التي تتلاعب باهراء الرجال وتعيش باستخدام اعظم قوى العالم اريد بها قوتها كامرأة . وهي إما ان تكون من بنات الهوى وشأنهن معروف واما ان يكون سلوكها لاشية عليه ولكنها انما تعيش لتكون موضع اعجاب الرجل بها وليس لها عيشة مستقلة او عيشة عقلية خاصة بها والثالث المرأة المترجلة او الرجل الصغير كما اسمها . ونساء هذا النوع على ازدياد كل يوم وهلمن مناسفة الرجل في جده ولعبه في عمله وظهره . ولست اجعل ان لاشي للمرأة عن الرياضة البدنية ولكن اذا امتد بها الامر حتى سارت هذه الرياضة غاية وجودها الوحيدة اي متى كانت المرأة انما تعيش للصيد والقنص ولعب الجولف او غيره من الالعب المبهية على قوة البدن فانها تخرج بذلك عن طور المرأة ولا يمكن ان تكون الا رجلاً صغيراً . واول ما يخطر ببال من يجمع بامرأة مثل هذه ان يأسف لكونها خلقت امرأة ذلك لان ظواهرها كلها تدل على انها تفضل لو خلقت رجلاً . وكثيرات من نساء هذا الصنف يقتلن لك هذا القول بصراحة

والمرأة النظرية باصنافها الثلاثة تتمايز عن المرأة التي نالت التسط الاوفر من المدنية بشيء واحد وهو ان الرجل يحيط بانفها من كل جانب اي انها قائمة له في كل عمل تسله ولا تهتم اهتماماً خاصاً بالعالم المحيط بها ولا تسمى بترقية شخصيتها . وعليه كانت المرأة النظرية ادنى من الرجل . وقد فضل الرجل على الدوام المرأة النظرية على المرأة العالية الكعب في المدنية وخصوصاً المرأة من الصنف الاول اي المستكينة غير المفكرة هذا من الوجهة النظرية ولكنه من الوجهة العملية قدّم الثاية عليها الى ان ادركته السامة فجعل ينقل بين الصنفين دواليك

وواقع الامر انه اذا عرضت مسألة المرأة فان الرجل لا يعلم ما يريد . فهو يستطيع اختيار فرس او كلب او اتومبيل يطابق ذوقه ولكنه لا يستطيع اختيار امرأة . واذا اختار امرأة ففي تسع حالات من عشر يندم على هذا الاختيار . يختار امرأة من الصنف الاول ثم لا تمضي سنة على اختياره هذا حتى يضع منها فيعود باخرى من الصنف الثاني حتى اذا قضى لباتة ورهكدت ربح هواه بذها ظهرياً

اقاويل الرجل عن المرأة

يتقول الرجل الاقاويل الكثيرة في المرأة وينبذها عاشاء من الالقاب، وهذه الالقاب قد تعصب على المرأة الفطرية دون غيرها . واهمها الحسد والصلف والثرثرة والطيش والعبث والحق والصحب والتبذل . فلتبحث في كل تهمة من هذه التهم على حدة :

واولها واهمها حدها لبنات جنسها . قال شو بهوره ان النساء ينظر بعضهم الى بعض حتى وهن مارات في الشوارع نظره الجويلف والجيلين (١) . وهذا القول يصح على المرأة الفطرية كل الصحة فان عداها لبنات جنسها ثم صفاتها واطهر خصائصها . لكن هذه الحالة هي نتيجة الاحوال الفطرية اي انها نتيجة تلك الفريضة الفطرية غريزة جب البقاء وقد ورثتها عن اسلافها . فان المرأة في العصر الحجري كانت اذا رأت اخرى تحاول اكتساب قلب رفيقها عرفت انها مهددة بالانقراض والقتناء . ولم يكن في الكهف مكان لنساء زائدات على الحاجة فانتصار خصيمتها عليها لا بد ان يفضي الى احد امرين إما قتلها واما زيادة حبلها في دركات العبودية

اما الرجل فلم يكن له من البواصت على حسد الرجال ما كان للمرأة على حسد النساء . فكان اذا رأى رجلاً ينازل رفيقته حسنت المناسة بينهما بالنبايت على باب الكهف . ولا تزال المبارزة حتى الآن محسوبة في بعض البلدان طريقة شرعية يلجأ اليها الرجل دفاعاً عن نفسه . اما المرأة فلم يسمح لها بمثل ذلك فتحلم لسانها وهو سلاحها الوحيد ان يحمل حمل الادوات المختلفة التي استعملها الرجل في الدفاع عن نفسه من الصوان الى النبوت فالبخنجر والليف والمسدس

ولكن يلاحظ هنا انه كلما تقدمت المرأة عتياً او ابعدت عن المحيط الفطري جعل عداؤها لبنات جنسها يتقل من تسو . فان علاقات الوداد بين البنات في مدارسهن مثلها بين الصبيان في مدارسهم . والبلت الجميلة بينهم موضع إعجابهم بها لا حسد من منها في القالب . وعليه فاذا كان بين النساء تحامد يفوق تحامد الرجال فذلك يكون في الأكثر حيث الاحوال المحيطة بهن على الفطرة

(١) حزيان سياسيان في المانيا اشتهرا في القرن الثاني عشر باقتادها كل منها للآخر حتى ضرب بها المثل كما ضرب المثل عند العرب بدهاء بكر وتغلب

الاولى كما في الهند مثلاً. فان النساء هناك تمزج عن كل رابطة عقلية او اجتماعية حتى ان الروابط البيئية واهنة لان اولادهن يؤخذون منهن وكان لا وجود لمن الا تابعات لرجالهن. وفي وسط مثل هذا تنتعش غرائزهن الفسكورية ويستندن بحماسةهن. وكل جمعية توجد فيها المرأة لاجتذاب انظار الرجال ولا يكون لها وجود مستقل^١ تنتعش هذه الغرائز فيها ولو كانت في قلب لندن. قال لا بروير « ان الرجال هم السبب في كون النساء لا يحبب بعضهن بعضاً ». وحيث لا يجد النساء شيئاً يفكرن فيه غير الرجال وحيث يكون جاهلن الطبيعي موضع اعجاب الرجال بهن لا غير فانهن يبتغين على هذا التحاسد ابد الدهر

الصلف — اذا كانت المرأة ذات صلف اي غرور وزهو وتيه فا ذلك الا لانها تعلم ان جاهلها هو اعظم ما يحمل الرجل على التعلق بها
الطيش — اذا كانت طائشة فذلك لان الرجل لم يكلفها البتة ان تفكر لنفسها ولم تمرن عقلها على المنطق والرياضيات
الثروة — اذا كانت ثرثرة فما ذلك الا لانها لم تتعلم كيف تستعمل قوة البيان المدخورة فيها

واذا كانت ذات عت وحقاء وصحابة فسبب ذلك ضيق مدى نظرها الى الحياة وقلة وجود مصلحتها

وبقيت مشكلة اتهامها بالتذلل وهي مشكلة كبيرة اذ طالما صوتت سهام الملام والتعنيف اليها بدعوى عدم تحصنها وعدم محافظتها على كرامة نفسها. اما انا لم استطع الاهتداء الى فرق جوهرى بين الرجل والمرأة من هذا التليل. والفرق كلمة اصطلاحي^٢ متعلق بالرسم والقوانين والرجل اكثر استصاكالاً بالرسم من المرأة وهذا طبيعي^٣ لان الصبيان يخرجون بالثبات كل سنة من مدارس قليلة تكاد انظمتها تكون واحدة واما البنات فيربين على ايدي معلمات خصوصيات او في مدارس خصوصية صغيرة وهي كثيرة متعددة الانظمة والاقبسة الادبية والاجتماعية

واعتمادى الشخصي ان المرأة ليست بالفطرة اذل^٤ غيره على شرفها من الرجل على شرفه وعليه فان ما ترتكب من الدناءة رداً الى طريقة تربيتها وما فيها من الفوضى والى ضيق افقها العقلي
(ستأتي البقية)